١/٥

جواز المثل والتمثيل
من
السنة والتنزيل

محمد حسين



الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



دار المدائن للنشر والتوزيع
الإسكندرية - البيطاش - مدينة الأندلس
رقم ١٤ ت ٤٣٣٢٧٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ومن والاه ...

وتبقى الدعوة إلى الله .. هى الطريق الأوحد لإسعاد البشرية ونشر الإسلام و تفهيمه إلى العالمين ، ومهارة الدعاة فى توصيل الحق إلى عقول ونفوس الناس ، وقد تنوعت الأساليب وفى كل يوم نرى الجديد فى تغيير الآراء وتكوين العقول وتنمية المفاهيم ، ومن الألوان العصرية التأثير بضرب المثل وفن التمثيل ، وقد تحيّر الناس حول شرعية هذه الأساليب ، وجواز الدين لها ، ما بين متشدد يرفض كل حكمة ويعاند كل جديد ، بحجة تمسكه بالإسلام ... ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه .. وآخر ارتمى فى أحضان كل عصرى وكأنه دين جديد ، ووسم الإسلام بالرجعية والتخلف وعدم ملاحقة العصرية ، وكلا الفريقين غارق فى وهم كاذب وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

وهذا الكتاب محاولة مبتكرة طال انتظارها ، اعتمد مؤلفها على أسلمة القضية وإحالتها إلى مصادرها الأساسية المعتمدة ، بعيداً عن إفراط ممقوت ، أو تفريط مذموم ، متمثلاً فى محاولته مقتضيات العصر ومحكمات الشرع .

أخى القارى الكريم :

ويسر دار المدائن وهى تقدم هذه المحاولة فى عالم النشر والإبداع ، أن يتواصل الحوار حول هذه القضية الخطيرة ، فى كافة مؤسساتنا الإعلامية ، التى تسهر لصياغة الفكر المعاصر ، ونحن فى انتظار رسائلكم حتى نصل إلى سقف واحد حول مفاهيم مشتركة لهذه القضية ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دار المدائن

معنى المثل والتمثيل لغة

* **قال ابن منظور فى لسان العرب** : قد يكون المثل بمعنى العبرة ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ **فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين** ﴾ . فمعنى السلف أنا جعلناهم متقدمين يتّعظ بهم الغابرون ، ومعنى قوله ومثلا أى عبرة يعتبر بها المتأخرون . قال : ومثّلت له كذا تمثيلا إذا صورت له مثاله بكتابة وغيرها ، ويقال : امتثلت مثال فلان احتذيت حذْوه وسلكت طريقته .

* **قال الإمام الترمذى الحكيم** : اعلم أن الله ضرب الأمثال للناس فى تنزيله لقوله تعالى : ﴿ **ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم** ﴾ . وقال جل ذكره ﴿ **وضربنا لكم الأمثال** ﴾ . وقال عز من قائل : ﴿ **ضرب لكم مثلا من أنفسكم** ﴾ ثم اعلم أن ضرب الأمثال يكون لمن خفيت عليه الأشياء ، فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لمّا خفيت عليهم الأشياء . فالأمثال صُور الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدى النفوس بما أدْركت عيانا . وقال : فإذا ضربت للنفس الأمثال صار ذلك الأمر لها بذلك المثل كالمعاينة . (كالذى ينظر فى المرآة فيبصر فيها وجهه ويبصر بها من خلفه ، لأن ذلك المثل قد عاينه ببصر الرأس فإذا عاين هذا أدرك ذلك الذى غاب عنه بهذا) .

* **وقال الإمام الزمخشرى فى تفسيره الكشاف** : ﴿ **مثلهم كمثل الذى استوْقد نارا فلما أضاءت ما حوْله ذهب الله بنورهم وتركهم**

في ظلمات لا يبصرون . صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون ﴾ . لما جاء بحقيقة صفتهم عقّبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان . ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى إبراز خبيّات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيّل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله ﷺ بخاصة وفى كلام الأنبياء والحكماء ، بعامة قال الله تعالى **﴿ مثل الذين إتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا .... وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾** « العنكبوت » . قال الإمام الترمذى الحكيم : المراد من هذا التمثيل تشبيه حال المنافقين فى الشدّة ولباس إيمانهم المبْطن بالكفر المطرّز بالخداع حذر القتل بحال ذوى مطر شديد فيه ما فيه .

*** بعض أمثال القرآن العظيم :**

(١) **﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء ومَن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كَلٌّ على موْلاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾** النحل .

* قال الإمام الألوسى فى روح المعانى : إن هذا تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفّق شبّه الأول بمملوك لا تصرف له وهو لإحباط

عمله وعدم الاعتداد بأفعاله واتباعه لهواه كالعبد المنقاد الملحق بالبهائم بخلاف المؤمن الموفق وجعله تمثيلا لذلك . وقال أيضا : هذا تمثيل للمؤمن والكافر بالأبكم ومن يأمر بالعدل هو المؤمن وليس المراد برجلين رجلين معينين بل رجلين متصفين بما ذكر من الصفات وعلى كون الغرض من التمثيلين نفى المساواة بينه جل جلاله وبين ما يشركون .

(٢) ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ البقرة .

* **قال الإمام القرطبى فى تفسيره** : مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع فى الأرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل ، يعنى أخرجت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، فشبّه المتصدق بالزارع وشبّه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة له سبعمائة حسنة . وقال الزمخشرى فى الكشاف : وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عينى الناظر .

(٣) ﴿ أيودّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ البقرة .

* **قال الزمخشرى** : وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغى وجه الله فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسّر عند ذلك حسرة

من كانت له جنة من أبهى الجنات وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا : الله أعلم . فغضب وقال : قولوا نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس رضى الله عنهما : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين . قال : قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك . قال : ضربت مثلا لعمل . قال : لأى عمل ؟ قال : لرجل غنى يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها . فرضى ذلك عمر .

(٤) ﴿ إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين﴾ البقرة .

* **قال العلامة الألوسى** : وفى الآية إشارة إلى حسن التمثيل كيف والله سبحانه مع عظمته وبالغ حكمته لم يتركه ولم يستح منه ، وما نفكت الأمثال فى الناس سائرة .

* **وقال الإمام الزمخشرى** : سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ما استنكروه ليس بموضع للاستنكار والاستغراب لأن التمثيل إنما يراد منه كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد والله سبحانه لمّا كانت الآلهة

التى جعلها الكفار أندادا لله تعالى لا يوجـد أحقر منها وأقل جعل بيت العنكبوت مثلا لها في الضعف والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخسّ قدرا وضربت لها البعـوضة فما دونها مثلافلا يقال للمـتمثل استحى من التمثيل بالبعوضة لأنه مصيب فى تمثيله محق فى قوله .

بعض الأمثال من السنة الشريفة

(١) عن جابر رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة فكان من دخلها ونظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة !! فأنا موضع اللبنة خُتم بى الأنبياء » رواه البخارى ومسلم .

(٢) وعن جابر أيضا رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثلى ومثلكم كمثل رجل أوْقد نارا فجعل الفراش والجنادب يقعْن فيها وهو يذبّهم عنها . وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلّتون من يدى » رواه البخارى ومسلم ، والجنادب جمع جندب نوع من الجراد والحجز جمع حجزة وهو موضع شدّ الإزار ومعنى تفلتون : التخلص فجأة من غير تمكّث .

(٣) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « مثل الذى يذكر ربّه والذى لا يذكره مثل الحى والميّت » رواه البخارى ورواه مسلم فقال : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت » .

(٤) عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : « قلنا يارسول الله إن أمر منّى لعجب !! هى ضيّقة فإذا نزلها الناس اتّسعت : فقال النبى ﷺ : إن مَثَلَ منى أو مَثَلُ الرّحم : هو ضيّق فإذا صار فيها الولد اتّسع » رواه الطبرانى فى الأوسط .

الملائكة ترشد الخلق من البشر بمواقف تمثيلية

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بنى إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى أراد الله أن يبتليهم ، فبعث ملكا ، فأتى الأبرص فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ، ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس ، فمسحه فذهب عنه قذره وأُعْطى لونا حسنا وجلدا حسنا ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال الإبل فأعطى ناقة عُشراء ، فقال : بارك الله لك فيها ، فأتى الأقرع فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عنى هذا الذى قد قذرنى الناس ، فمسحه فذهب عنه ، وأعْطى شعرا حسنا ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، فأعطى بقرة حاملا وقال : بارك الله لك فيها ، فأتى الأعمى فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلىّ بصرى فأبصر الناس ، فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الغنم فأعطى شاةً والداً ، فأنتج هذان وولّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم ، ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بعيرا أتبلّغ به فى سفرى ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال : كأنى أعرفك ، ألم

تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثتُ هذا المال كابرا عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا فى دعواك فصيّرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ، وردّ عليه مثل ما ردّ هذا ، فقال : إن كنت كاذبا فصيّرك الله تعالى إلى ما كنت ، وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى ردّ عليك بصرك ، شاةً أتبلغ بها فى سفرى ، فقال : قد كنتُ أعمى فردّ الله إلىّ بصرى ، فخذ ما شئتَ ودعْ ما شئت ، فو الله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله عز وجل ، فقال :أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيْك » رواه البخارى ومسلم .

* معنى العُشَراء أى الحامل ، ومعنى انتج هذان أى تولّى نتاجها ، والناتج للناقة والبقرة كالقابلة للمرأة ، ومعنى انقطعت بى الحبال أى الأسباب ، ومعنى لا أجهدك أى لا أشقّ عليك فى ردّ شىء تأخذه . والحديث واضح فيه كيف مثّل الملك فى الهيئة والقول صور الثلاثة وهم مساكين ، الأبرص والأقرع والأعمى ، ليتوصل إلى المراد من القصة ولتكون العبرة أوقع فى النفس ، فالملك ليس رجلا ولا مسكينا ولا أعمى ولا محتاجا وفعله ذلك لم يقصد به الكذب ولا الخداع وإنما لتوصيل العبرة توسّل بهذه المواقف التمثيلية ليعتبر من هذه المواقف .

(٢) جبريل عليه السلام يعلم الصحابة

كيف يتلقون العلم :

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيْه إلى ركبتيْه ووضع كفّيْه على فخذيْه قال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرنى عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربّتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رِعاء الشّاء يتطاولون فى البنيان ، ثم انطلق فلبثت مليّا ثم قال : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » رواه مسلم ومعنى تلد الأمة ربتها أى سيدتها . ففى هذا الموقف

لم يأت جبريل عليه السلام وحْيا كالعادة ولكنه تمثل للصحابة بشراً سويّا كما تمثل من قبل لمريم عليها السلام ، ثم علّم الصحابة أمور دينهم بهذا المشهد العظيم بين معلّم ومتعلم من حيث هيئته وجلسته وسؤاله وجوابه ، فانظر رحمك الله كيف يتم تعليم الدين وتوصيله بمثل هذا الموقف الممثَّل ليكون وقعه وأثره مشاهدة وسماعا ، فبمثل هذا الأسلوب يمكن تعليم وتوصيل أمور الدين ولا حرج .

تمثيل الأنبياء عليهم السلام

* **التمثيل طريق دعوة صاحب الملة الحنيفية إبراهيم عليه الصلاة والسلام .**

(١) قال الله تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتّخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلمّا جَنّ عليه الليل رأى كوْكبا قال : هذا ربى فلمّا أفل قال : لا أحب الآفلين فلمّا رأى القمر بازغا قال : هذا ربى فلمّا أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلمّا رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر فلمّا أفلت قال : يا قوم إنى برىء ممّا تشركون . إنى وجّهت وجهىَ للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ .

* قال الإمام الألوسى فى تفسيره المسمى روح المعانى : وهذا منه عليه السلام على سبيل الفرض وإرخاء العنان مجاراة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب . فإن المستدل على فساد قول يحكيه ثم يكرّ عليه بالإبطال فهذا هو الحق الحقيق بالقبول . وقيل : إنه مقول على سبيل الإستهزاء كما يقال لذليل ساد قوما : هذا سيدكم .

على سبيل الإستهزاء وقيل : إنه عليه السلام أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبُعْد طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرّح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوا ولم يلتفتوا فمال إلى طريق يستدرجهم إلى استماع الحجّة ، وذلك بأن ذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم على مذهبهم مع أن قلبه كان مطْمئنا بالإيمان ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإن لم يقبلوا ولأنه عليه السلام لمّا لم يجد إلى الدعوة طريقا سوى هذا الطريق وكان مأمورا بالدعوة إلى الله تعالى ،كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر ، ومعلوم أنه عند الإكراه يجوز إجراء كلمة الكفر على اللسان ، وإذا جاز ذلك لبقاء شخص واحد فلأن يجوز لتخليص عالم من العقلاء عن الكفر والعقاب المؤبد وذلك أوْلى . فكلام إبراهيم عليه السلام كان من باب الموافقة ظاهرا للقوم حتى إذا أوْرد عليهم الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم له أتم وانتفاعهم باستماعه أكمل .
وممّا يقوى هذا القول أنه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق فى موضع آخر وهو قوله تعالى : ﴿ **فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم** ﴾ وذلك لأن القوم كانوا يستدلّون بعلم النجوم على حصول الحوادث المستقبلة فوافقهم فى الظاهر مع أنه كان بريئا عنه فى الباطن ليتوصل بذلك إلى كسر الأصنام فمتى جازت الموافقة لهذا الغرض فلِم لا تجوز فى مسئلتنا لمثل ذلك . وقال فى تفسير قوله تعالى ﴿ **ولا أخاف ما تشركون به** ﴾ لعل ذلك حين فعل بآلهتهم ما فعل ممّا قصّ الله تعالى علينا ، ففى بعض الآثار أنه عليه السلام لمّا شبّ وكبر جعل آزر

يصنع الأصنام فيعطيها له ليبيعها فيذهب وينادى : من يشترى ما يضرّه ولا ينفعه ، فلا يشتريها أحد ، فإذا بارت ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رؤوسها وقال لها : إشربى !! استهزاء بقومه حتى فشا فيهم استهزاؤه فجادلوه حينئذ وخوّفوه . إلى أن قال رحمه الله كما ورد فى قوله تعالى : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه** ﴾ إشارة إلى ما احتجّ به إبراهيم عليه السلام من قوله سبحانه ﴿ **فلمّا جنّ عليه الليل** ﴾ أى أرشدناه إليها وعلمناه إياها .

* ففى القصة أن إبراهيم عليه السلام قام وقومه ينظرون إليه بهذا المشهد والموقف التمثيلى ليتوصل إلى فساد عبادة الكواكب واستهزاء بهم ويحاكى مواقفهم فيقول عن رؤية الكوكب : هذا ربى فإذا بالكوكب يأفل ويختفى ، فيقول أمامهم :لا أحب الآفلين ، لإظهار فساد رأيهم فى الكواكب إذ كيف يعبد ويحب من يغيب عن عباده ؟ ثم فجأه يرى القمر منيراً فيقول أمامهم : هذا ربى ، فيتكرر الموقف ويريهم سفه عقولهم فى عبادة القمر ثم كذلك الشمس ويقول: هذا ربى هذا أكبر، فإذا و بحجمها الكبير تتغيب وتختفى عن عبادّها فلم يعد فى الكواكب أمامهم فى السماء من يستحق العبادة ، وعندئذ يعلن براءته من هذا الشرك وتوجهه إلى الإله الحق ليدعوهم إلى أتباعهم لمنهجه . ويكون ذلك الموقف والمشهد حجة علمها الله إبراهيم وطريق للدعوة أرشده الله إليه .

(٢) إبراهيم عليه السلام لا يكتفى بتمثيل الحجة باللسان وبيان

الحال ولكنه يتدرج إلى التمثيل العملى بكسر الأصنام .

قال الله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهنّ وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولّوا مدبرين . فجعلهم جُذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا : سمعنا فتىً يذكرهم يُقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعْين الناس لعلهم يشهدون . قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم . قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال : أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾ سورة الأنبياء .

* قال الإمام الألوسى فى قوله تعالى ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم** ﴾ أى لأجتهدن فى كسرها . وأصل الكيد الاحتيال فى إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه وهو يستلزم الاجتهاد ، وكان هذا منه عليه السلام عزماً على الإشارة إلى ضلالهم بنوع آخر ،ذلك أنهم خرجوا فى يوم عيد لهم فلما كان إبراهيم عليه السلام فى الطريق ثنى عزمه عن السير معهم

فقعد وقال : إني سقيم ، فدخل على الأصنام وهى مصطفّة وثَمّ صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها بالفأس ولم يبق إلا الكبير وعلق الفأس فى عنقه كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ **إلا كبيراً لهم** ﴾ فلما سألوه قال : بل فعله كبيرهم هذا . ويحكى أن إبراهيم عليه السلام قال : بل فعله كبيرهم هذا حيث غضب أن يعبد معه هذه وهو أكبر منها . قيل : فيكون حينئذ تمثيلا أراد به عليه السلام تنبيههم إلى غضب الله تعالى عليهم لإشراكهم بعبادة الأصنام . وإنما لم يكسره وإن كان مقتضى غضبه ذلك لتظهر الحجة . وتسمية ذلك كذبا كما ورد فى الحديث الصحيح من باب المجازفبطل الاحتجاج بما ذكر على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام .

فانظر كيف أرشدهم إبراهيم عليه السلام إلى ملة التوحيد بهذه المواقف التمثيلية التى تسفه عقولهم ومعتقدهم فى الأصنام ، وما استلزم ذلك مما ظاهره الكذب كقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله إنى سقيم .

(٣) إبراهيم عليه السلام يتوصل إلى عدم مشاركة قومه أعيادهم بتمثيل المريض بمرض معدٍ حتى يتركوه ويفرّوا منه .

قال الله تعالى ﴿ **وإن من شيعته لإبراهيم . إذجاء ربه بقلب سليم . إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة فى النجوم . فقال إنى سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون . ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين . فأقبلوا إليه يزفّون . قال أتعبدون**

ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون﴾ .سورة الصافات

قال الإمام القرطبى فى تفسيره الجامع : قال ابن زيد عن أبيه : أرسل إليه ملكهم إن غدا عيدنا فاخرج معنا . فنظر إلى نجم طالع فقال : إن هذا يطلع مع سقمى . وكان علم النجوم مستعملا عندهم منظورا فيه فأوهمهم هو من تلك الجهة فأراهم من معتقدهم عذرا لنفسه . قال القرطبى : وهذه تورية وتعريض كما قال للملك لما سأله عن سارة زوجته : هى أختى يعنى أخوة الدين . وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك : أشار لهم إلى مرض وسقم يعدى كالطاعون وكانوا يهربون من الطاعون ولذلك ﴿ **تولوا عنه مدبرين** ﴾ أى فارين منه خوفا من العدوى . وعن سمرة الهمدانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال أبو إبراهيم عليه السلام : إن لنا عيدا لو خرجت معنا لأعجبك ديننا . فلما كان يوم العيد خرجوا إليه وخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى بنفسه وقال : إنى سقيم اشتكى رجلى فوطئوا رجله وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم ﴿ **وتالله لأكيدن أصنامكم** ﴾ قال القرطبى : ولا يتعارض هذا مع ما قاله ابن عباس وابن جبير لأنه يحتمل أن يكون قد اجتمع له أمران ، وفى الصحيح عن النبى ﷺ (لم يكذب إبراهيم النبى عليه السلام إلا ثلاث كذبات) وهو يدل على أنه لم يكن سقيما وإنما عرّض لهم . وكنى بالألفاظ .

قال الإمام الزمخشرىّ فى تفسيره الكشاف : كان القوم نجّامين فأوهمهم أنه استدل بأمارة فى علم النجوم على أنه يسقم

﴿ **فقال إنى سقيم** ﴾ أى إنى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ، وليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه فى بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل . **فإن قلت : كيف جاز له أن يكذب ؟ قلت** : قد جوّزه بعض الناس فى المكيدة فى الحرب والتقية وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين . والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرّض وورّى والذى قاله إبراهيم عليه السلام تعريض فى الكلام وتورية يقصد منها أن من فى عنقه الموت فهو سقيم . وقيل : أراد إنى سقيم النفس لكفركم .

قال الإمام الألوسى : وكان قومه عليه السلام يعظمون الكواكب المعروفة ويعتقدون السّعود والنحوس والخير والشر فى العالم منها ، ويتخذون لكل كوكب منها هيكلا ويجعلون فيها أصناما تناسب ذلك الكوكب فى تصورهم ويجعلون عبادتهم وتعظيمها ذريعة إلى عبادة تلك الكواكب واستنزال رحماتها وكانوا يستدلون بأوضاعها على الحوادث الكونية العامة أو الخاصة . فاتفق أن دنا يوم عيد لهم يخرجون فيه فأرسل ملكهم إلى إبراهيم عليه السلام أن غدا عيدنا فاحضر معنا . فاستشعر حصول الفرصة ليحدث ما عسى أن يكون سببا لتوحيدهم فأراد أن يعتذر عن الحضور على وجه لا ينكرونه عليه فجاء أمامهم ﴿ **فنظر نظرة فى النجوم** ﴾ أى فتأمل فيها كتأمل الموجودين وتفكرهم إذ هو اللائق به عليه السلام وبهذا أوهمهم أنه تفكر فى أحوالها من الإتصال والتأثير والتقابل ونحوه من الأوضاع ،التى تدل فى زعمهم على الحوادث ليرتب عليه ما يتوصل

به إلى غرضه الذى سيكون وسيلة إلى إنقاذهم مما هم فيه . وهذا كقوله عليه السلام ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ وقوله فى زوجته سارة :هى أختى ، مجازاً وتورية .

(٤) يوسف عليه السلام يحتال بموقف تمثيلى على إخوته ليستبقى معه أخاه بنيامين .

قال الله عز وجل ﴿ **ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون . قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ، قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين . قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين . قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين . فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم إستخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم** ﴾ سورة يوسف .

قال الإمام الألوسى : وهذا من التظاهر فى الأفعال ، حيث بدأ بتفتيش أوعية أخوته قبل وعاء أخيه الشقيق ، فإن المفتش بدأ بأوعيتهم مع علمه أن الصاع ليس فيها ، وأخّر تفتيش وعاء أخيه مع علمه بأنه ليس فيها تظاهرا بأنه لا يعرف فى أى وعاء هذا الصاع ، ونفيا للتهمة عنه لو بدأ بوعاء الأخ الشقيق .

مشاهد من التمثيل فى سيرة الأنبياء

١- نبى الله سليمان عليه السلام مثل موقفا رائعا .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقـــــول : (كانت إمرأتان معهما إبناهما ، جاء الذئب فذهب بابن احداهما ، فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بإبنك ، فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فأخبرتاه . فقال : إئتونى بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى لا تفعل رحمك الله هو ابنها . فقضى به للصغرى) . رواه البخارى ومسلم

هذا خبر من الوحى بقصة قضية نظرت فى عهد داود وسليمان عليهما السلام ويبدو مشاركة سليمان عليه السلام لوالده داود عليه السلام ، ففى بلاط الحكم احتكمت المرأتان لداود عليه السلام وعرضت المرأتان كل منهما حجتها فقضى للكبرى حسب الحجة الظاهرة له من العرض للقضية ، إلا أنه يبدو أن نظام التقاضى الذى يشارك فيه سليمان عليه السلام كان من إجراءاته المرور عليه وإخباره بالحكم ليستكمل ما يراه وصولا للحق ، وانظر إليه يقوم بهذا الموقف الرائع بتمثيل مشهد لا يخطر على بال أحد حيث أمر أتباعه باحضار

سكين وأعلن عن عزمه بأن سيقطعه نصفين أى الطفل لتأخذ كل منهما نصفا ، ولايسوغ هذا عقلا ولا شرعا أن يفعل هذا النبى هذا الفعل ، ولكنه مثل أمامها هذا الموقف ليتوصل إلى التيقن والتثبت من معرفة أم الطفل من بينهما فإذا بالأم الحقيقيةتستصرخه : لا تفعل رحمك الله هو ابنها ، لقد استنطقها هذا الموقف التمثيلى فنطقت بعاطفة الأمومة تلقائيا راضية بأن تأخذه غير الأم ويعيش لا تمسّه السكين .وكانت الصغرى التى فاضت منها عاطفة الأمومة وليست الكبرى فتغيّر الحكم وقضى به للصغرى . فبأى طريقة أخرى كان يمكن للصغرى التدليل على أن الابن ابنها ؟ وبأى طريقة غير هذا المشهد التمثيلى كان يمكن لسليمان عليه السلام أن يتثبت من صحة الحكم ؟ إنها وسائل مشروعة لمقاصد مشروعة

٢ ـ مشهد فيه البيان من سيرة خير الأنام .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (....... وبينما صبى يرضع من أمه فمر راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ، فترك الصبى الثدى وتوجه نحوه ونظر إليه فقال : اللهم لا تجعلنى مثله ، ثم أقبل على الثدى فجعل يرضع ، قال فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى إرضاعه بإصبعه السبّابة فى فمه فجعل يمصها ....)رواه البخارى ومسلم وهذه رواية مسلم .

هذا الحديثذكر فيه خير الأنبياء بعض الأطفال الذين تكلموا

وهم فى المهد ومنهم هذا الرضيع الذى كان يرضع من ثدى أمه، فمر عليها فارس على فرسه، وهيئته حسنة، أعجبتها ، فتمنت كأى أم أن ترى ابنها مثله، فدعت الله أن يجعل ابنها مثل هذا الفارس ،فإذا طفلها الرضيع ينطقه الله تعالى ويترك الرضاعة وينظر حيث نظرت أمه وتمنت له ، فإذا به ينطق داعيا الله تعالى : اللهم لا تجعلنى مثله، لأن علم الله الذى أنطقه بأن هذا الفارس ظالم كافر بنعمة الله . ثم رجع لهيئته الطفولية ومارس عمله كطفل يرضع . يقول الصحابى أبو هريرة رضى الله عنه وهو يحدث بهذا الحديث أن صورة سيدنا رسول الله ﷺ لا تزال فى ذاكرته مرسومة وهو يحكى أى يمثل إرتضاع الطفل بأن وضع إصبعه الشريف فى فمه المبارك فجعل يمصها يمثل حال الطفل فى الرضاعةمن ثدى أمه هكذا .

٣ـ سيدنا على يمثل بأمر النبى ﷺ .

روى ابن هشام وغيره واقعة اجتماع فتيان قريش لقتل النبى ﷺ ليلة هجرته وإلتفافهم حول بيته الشريف (فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم فقال لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى ، وتَسجّ ببردى هذا الحضرمى الأخضر، فنم فيه فإنه لم يخلص إليك شىء تكرهه منهم . وكان رسول الله ﷺ ينام فى برده هذا إذا نام)

كان تصرفاً من النبى ﷺ جزءا من مسئولية القائد فى إنجاح خطته ، وذلك بالتمويه والتعمية على عدوه . فإحتاج الأمر إلى أن يمثل على بن أبى طالب رضى الله عنه، أمام العدو النوم، مكان النبى ﷺ ويتغطى ببرده الأخضر ، حتى يخلص النبى ﷺ منهم وهم واهمون أنه ﷺ لا يزال فى بيته وليس النائم عليًا رضى الله عنه .

مشاهير الصحابة يمثلون وهم يجاهدون

(١) روى البيهقى ومحمد بن عمرو ابن اسحق وأهل السّير ، أن النبى ﷺ بعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم الطاغية اللاّت وتسمى الربّة ، فخرجا وأصحابهما فلما دنوا من الطائف قال المغيرة لأبى سفيان تقدم أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرْم ، موضع بقرب الطائف ، ودخل المغيرة فى بضعة عشر رجلا يهدمون الربّة ، فلما نزلوها عِشاءا باتوا ، ثم غدوا على الربّة يهدمونها . فقال المغيرة لأصحابه الذين قدموا معه : لأضحكنكم اليوم من ثقيف . فاستكفّت ثقيف كلها ، أي إجتمعت الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال حُزنا يبكين على الطاغية، لا يصدق عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة . فقام المغيرة بن شعبة واستوى على رأس الدابة ومعه المعول ، وقام معه بنو معتّب قومه دريئة بالسلاح مخافة أن يصاب كما فعل عمه عروة بن مسعود . وجاء أبو سفيان وصمم على ذلك فأخذ الكِرْزين ، أى الفأس ، وضرب المغيرة الربّة بالكرزين ثم سقط مغشيا عليه يركض برجليه ، فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا : أسعد الله المغيرة قد قتلته الربّة ، زعمتم أن الربة لا تمنع بل والله لتُمنَعن ، وفرحوا حين رأوه ساقطا ، وقالوا : من

شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها فوالله لا يستطاع أبدا ، فوثب المغيرة بن شعبة وقال : فبحكم الله يا معشر ثقيف إنما هى لكُاع حجارة ومدَر ، فاقبلوا عافية الله تعالى ولا تعبدوها ، ثم إنه ضرب الباب فكسره ثم تسورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجرا حجرا حتى سوّاها بالأرض ، وجعل السادن يقول : ليغضبنّ الأساس فليخسفن بهم ، فلما سمع ذلك المغيرة حفر أساسها فخربه حتى أخرجوا ترابها وانتزعوا حليتها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة فبهتت ثقيف ، وأقبل أبو سفيان والمغيرة وصحبهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ بحليتها وكسوتها وأخبروه خبرهم فحمد الله تعالى على نصر نبيه وإعزازه دينه ، وقسّم رسول الله ﷺ مال الطاغية من يومه .

أنظر رحمك الله كيف أظهر سيدنا المغيرة رضى الله عنه بهذا المشهد التمثيلى الرائع أمام كل ثقيف رجالا ونساءا وصبيانًا أظهرما بأنفسهم وعقائدهم الفاسدة فى هذه الربّة الزائفة اللات التى ذكرها القرآن الكريم ،برغم أن ثقيفا فى هذا الوقت قد أسلمت وأرسلت وفدها إلى النبى ﷺ يعلن إسلامه ، ولكن العقائد الموروثة نطقت وتحدّوا سريّة النبى ﷺ بقيادة أبى سفيان والمغيرة وقالوا: من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها فوالله لا يستطاع أبدا ،وذلك عندما مثل هذا الصحابى الجليل قائد الفتوحات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها هذا الدور المتقن وتظاهر بأن هذه الإلهة اللات قد أضرته عندما علاها

بالفأس ليهدمها فوقع مغشيا عليه يركض برجليه وفى الحقيقة ما به من شيء ولكنه التمثيل المتقن لهذا الدور الذى سبق أن قال لأصحابه : لأضحكنكم اليوم من ثقيف ، أى على أساس اعتقادها فى اللات ، وهنا صنع صنيعه المراد بهذا المشهد المتقن ، حيث ضرب والحديد ساخن فقال لهم ،وقد قام واثبا ما به من ضرر فى الحقيقة قبحّكم الله يا معشر ثقيف إنما هى لكاع حجارة ومدَر ، فاقبلوا عاقبة الله تعالى ولا تعبدوها . نعم لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع أن تمنع نفسها كما تظنون ، إنما أنا مثلت هذا الدور لأقنعكم بسخافة اعتقادكم وها أنظروا فأنا سليم ليس بى ضر ، بل شاهدوا ما أفعل دليلاً على صدق كلامى ثم علاها هو وأصحابه حتى هدموها وهذا المسكين السادن أى القائم على أمرها يقول الأساس سوف يغضب ، فيتوجه المغيرة إلى الأساس ويخربه فلم يبق أمامهم إلا أن بهتوا .

وأنظر أيضا رعاك الله كيف أقرهم النبى ﷺ على كل صنيعهم عندما عادوا فأخبروه بخبرهم فحمد الله تعالى على نصر نبيه وإعزاز دينه ، والنبى ﷺ لا يقر منكرا ، وفعله وقوله وإقراره بيان لدين الله تعالى . وكذلك لا يتباطأ الوحى أبدا فى إخبار النبى ﷺ بما يفعله أصحابه بما يخالف الشرع .

٢- روى أهل السّير والحديث قصة إسلام الحجاج بن علاط السّلمى رضى الله عنه قالوا : لما فتح الله على النبى ﷺ خيبر وأعرس بصفية بنت حيى رضى الله عنها وفرح المسلمون ، جاءه الحجاج بن

علاط السلمى وكان أول من أسلم فى تلك الأيام وشهد خيبر ، فقال : يارسول الله إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ، أى زوجته ، ولى مال متفرق عند تجار مكة فأذن لى يا رسول الله فى العودة إلى مكة عسى أسبق خبر إسلامى إليهم فإنى أخاف إن علموا بإسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إنى أحتاج إلى أن أقول ، فقال له رسول الله ﷺ : قل وأنت فى حلّ . قال الحجاج : فخرجت فلما إنتهيت إلى الثنية ثنيّة البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الأخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار إلى خيبر ، فلما أبصرونى قالوا : هذا لعمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا أن القاطع ، يعنون محمدا ﷺ ، قد سار إلى خيبر ؟ قال : قلت : إنه سار إلى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم. قال : فأحدقوا حول ناقتى يقولون : يا حجاج إيه يا حجاج . فقلت : هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأُسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان قد أصاب من رجالهم . قال : فصاحوا بمكة : قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدم به عليكم فيقتل بين أظهركم . قال فقلت : أعينونى على جمع مالى من غرمائى فإنى أريد أن أقدم خيبر فأغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى هناك ، فقاموا معى فجمعوا لى مالى كأحسن ما أحب ، فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل علىّ حتى وقف إلى جانبى وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال: يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به ؟

قال فقلت : وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر ؟ فقال نعم والله ، فقلت استأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فإنى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف عنى حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة وأزمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل فإنى أخشى أن يتبعونى ، فاكتم علىّ ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال : لك علىّ ذلك . قلت : والله ما تركت ابن أخيك إلا عروسا مع ابنة ملكهم ، يعنى صفية ، وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولأصحابه . قال : أحق ما تقول يا حجاج ؟ قلت : إى والله ولقد أسلمت وما جئت إلا مسلما لأخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه ، فإذا مضت الثلاثة فأظهر أمرك فهو والله ما تحب . قال : ولما كان اليوم الرابع لبس العباس حلّة له وتخلّق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد للمصيبة . قال : كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبرا وتُرك عروسا مع ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه قالوا: من جاء بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمداً وأصحابه ليكون معهم . قالوا: تفلّت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن . ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك .

هذا موقف من أحد أصحاب حضرة النبى محمد ﷺ هو الحجاج بن علاط السلمى رضى الله عنه مثله بإتقان حتى وصل

لمقصـوده وهو إستخلاص مـاله من بين يدي المشركين وإغاظتـهم بنصر الله للمسلمين ، ولأن المسلم ألبس عليهم وهْما أنه كـافر وأن المسلمين هزموا وأن محمدا ﷺ وأصحابه أسروا ، وحقيقة الأمر على غير ذلك ، وهذا كله بعلم النبى ﷺ وأمره حيث قال ﷺ للحجاج : قل وأنت فى حلّ .

(٣) أصحاب النبى ﷺ يغلبون مكر ملك اليهود بمواقف تمثيلية

ذكـر أهل السّير والحـديث سرية مـحمـد بن سلمـة رضى الله عنه لقتل ملك اليهـود كعب بن الأشرف . قالوا : كان كـعب يهوديا وكان شاعرا يؤذى رسول الله ﷺ ويهجو الصحابة رضى الله عنهم ويحرّض عليـهم الكفـار ، وخرج حـتى قـدم مكة وجعل يـحرض على رسـول الله ﷺ وينشد الأشعار ويبكى أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببـدر ، ثم رجع إلى المدينة فـشبّب بنسـاء المسلمين حـتى أذاهم ، فقـال رسول الله ﷺ : مَن لى بكعب بن الأشـرف ، آذى الله ورسوله وقـوّى المشركين علينا ؟ فقال محمد بن سلمة : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : أنت له فافعل إن قدرت على ذلك .فاجـتمع فى قتله محمد بن سلمة ، وعبّـادبن بشر ، وأبو نائلة سلْكان بن سلمـة ، والحارس بن أوس بن معـاذ ، وأبو عبس بن جـبر ، فقـالوا يا رسول الله نحن نقـتله فأذن لنا فلنقل شيئا فإنه لابد من أن نقول . فقال رسول الله ﷺ: قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك . فخرج أبو نائلة وكـان أخا كعب من الرضاعة فلما رآه كعب أنكر شأنه وذعر لمرآه ، فقال : أبو نائلة : حدثت حاجة ،

فقال : كعب هو فى نادى قومه وجماعتهم : ادْن إلى فخبرنى بحاجتك فتحدثا ساعة ، فقـال كعب : ما حاجتك لعلك تحب أن تقوم من عندنا؟ فلما سمع القـوم قاموا . فقال مـحمد بن سلمة كمـا فى الصحيح أو أبو نائلة كـما فى السـير : إن هذا الرجل قـد سألنا صـدقة ونحن لا نجـد ما نأكل ، وإنه قـد عنّانا . قال كعب : وأيضـا والله لتملّنه . قـال أبو نائلة : كـان قدوم هذا الرجل علينا بلاء مـن البلاء ، عـادتنا العرب ورمـونا عن قوس واحـد ة وقّطعت عنا السـبل حتى جـا ع العيـال وجهـدت الأنفس وأصبـحنا قد جـهدنا وجْهـد عيـالنا . فقال كـعب : أما والله لقـد كنت أخبـرك يا بن سلامة أن الأمـر سيصيـر إلى ما أقول ، ولكن اصـدقنى ما الذى تريدون من أمــره ؟ قـال : خـذلانه والتنحى عـنه . قـال كـعب : سـررتنى .ألم يأْنِ لكم أن تعرفـوا ما علـيه من البـاطل ؟ فقـال أبو نائلة : معى رجال من أصحابى على مـثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فنبتا ع منك تمرا وطعاما وتحسن إلينا ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة ، قال كعب : والله ما كنت أحب يا أبا نائلة أن أرى بك هذه الخصاصة وإن كنت من أكرم الناس ، على ماذا ترهنونى ؟ أترهنونى أبناءكـم ؟ قال : إنا نستحى أن يُعـيّر أبناؤنا فـيـقـال : هذا رهينة وَسْق وهـذا رهينة وسْقَين . قـال : فـارهنونى نسـاءكم ؟ قـال :لقد أردت أن تـفضـحنا وتُظهـر أمـرنا أنت أجمل الناس ولا نأمـنك ، وأى إمرأة تمتنع منك لجمـالك ؟ ولكنا نرهنك من السلاح الحلْقة ما ترضى به ، ولقد عـلمت حاجتنا إلى السلاح اليوم قال كـعب : إن فى السـلاح لوفاء . وأراد أبو نائلة ألا ينكر الـسلاح إذا جاءوا به ، فسـكن إلى قوله وقال : جىء به متى شـئت . فرجع أبو نائلة

من عنده على ميعاد ، فأتى أصحابه فأخبرهم فأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى لميعاده ، ثم أتوا رسول الله ﷺ عشاء فأخبروه فمشى معهم . فمضوا حتى انتهوا إلى حصن ابن الأشرف فقال أبو نائلة : إذا رآكم كعب فإنى قائم بِشَعَرِه فأشمه فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه . فهتف أبو نائلة وكان بن الأشرف حديث عهد بعُرس فوثب من ملحفته فأخذت إمرأته بناصيتها وقالت : إنك إمرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة . فقال: إنه ميعاد علىّ وإنما هو أخى أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى . فقالت :والله إنى لأعرف فى صوته الشر ، فكلمهم من فوق البيت ثم نزل إليهم متوشحا بملحفة وهو ينفح منه ريح الطيب ، ، فجاءهم ثم جلس فتحدث معهم ساعة حتى انبسط معهم ، فقالوا : هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث فيه بقية ليلتنا هذه ؟ فقال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة فقال أبو نائلة : نجد منك ريح طيب ، قال نعم تحتى فلانة من أعطر نساء العرب . قال أفتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال :نعم فأدخل أبو نائلة يده فى رأس كعب ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ، ثم مشى أبو نائلة ساعة ثم عاد لمثلها حتى إطمأن إليه وسُلسِلت يده فى شعره فأخذ بقرون رأسه وقال لأصحابه : اضربوا عدو الله ، فإختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا ورد بعضها بعضاً وإلتصق بأبى نائلة . قال محمد بن سلمة : فذكرت مِغْوَلا فأخذته وقد صاح عدوا الله عند أول ضربة فوضعته فى ثُنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته

فوقع عدو الله .

اليَغْول سيف قصير يشتمل به الرجل الفاتك تحت ثيابه . ومعنى الثنّة أى ما بين السرة والعانة من أسفل البطن

ها هم سادة الصحابة الكرام فى أنبل عمل جهادى لقتل عدو الله ورسوله والمؤمنين كعب بن الأشرف هذا الملك الداهية الذى أغضب رسول الله ﷺ يخدعونه ويمكرون به ويتغلبون على مكره ودهائه اليهودى بهذه المشاهد المتكررة فيظهرون له غير الحقيقة ويكذبون عليه بل ويظهرون ويقولون كفراً ليتوصلوا إلى تحقيق غرضهم المشروع وهو قتل هذا الكافر الملعون. نعم الحرب خدعة فأتقنوا ذلك تمثيلا جيدا حتى خدع العدو فهذا التمثيل منهم خدعة مشروعة يتوصلون بها إلى الجهاد ورفع كلمة الله عالية حيث أجاز لهم النبى ﷺ ذلك طالما يتوصل به إلى غاية مشروعة وهدف نبيل ومقصد شريف . وانظر كيف أن الصحابة الكرام الذين قاموا بهذا العمل الإسلامى قد أعدوا أدوارهم سابقا واتفقوا عليها وعرف كل واحد دوره فى هذه السلسلة من مشاهد التمثيل ، وأنهم أتموها وأتقنوها .؟

(٤)عبد الله بن أنيس رضى الله عنه يتوصل لقتل شيطان العرب بإجادته التمثيل .

روى أبو داود والبيهقى وأبو نعيم وموسى بن عقبة أنه بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد الهذلى ، وكان ينزل بوادى عرنة وما والاها فى أناس من قومه وغيرهم يريد أن يجمع الجموع إلى رسول

اللهﷺ فانضم إليه بشر كثير من الناس . قال عبد الله بن أنيس رضى الله عنه : دعانى رسول اللهﷺ فقال : إنه بلغنى أن سفيان بن خالد يجمع لى الناس ليغزونى وهو بنخلة أو بعرنة فأته فاقتله . فقلت : يا رسول الله صفه لى حتى أعرفه ، فقال : آية ما بينك وبينه أنك إذا رايته هبتَه وَفَرقت منه ووجدت له قُشعريرة وذكرت الشيطان . قال عبد الله : وكنت لا أهاب الرجال فقلت يا رسول الله ما فرقت من شيء قط . فقال : بلى آية ما بينك وبينه ذلك أن تجد له قشعريرة إذا رأيته . قال : فاستأذنت رسول اللهﷺ أن أقول . فقال : قل ما بدا لك . وقال : انتسب لخزاعة . فأخذت سيفى ولم أزد عليه وخرجت أعتزى لخزاعة حتى إذا كنت ببطن عرفة لقيته يمشى ووراءه الأحابيش . فلما رأيته هبته وعرفته بالنعت الذى نعت لى رسول اللهﷺ فقلت : صدق الله ورسوله . وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشى أُميء برأسى إيماءً . فلما دنوت منه قال من الرجل : فقلت رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك عليه : قال : أجل إنى لفى الجمع له ، فمشيت معه وحدثته فاستعذب حديثى وأنشدته وقلت: عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحْدَث ، فارق الأباء وسفه أحلامهم قال : لم ألق أحدا يشبهنى ولا يحسن قتاله . قال عبد الله بن أنيس : وهو يتوكأ على يهدّ الأرض حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه، وهم يطيفون به . فقال : هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه ، فقال اجلس فجلست معه حتى إذا هدأ الناس ونام أخذته على غرة فقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلا فدخلت

غارا وأقبل الطلب من الخيل والرجال تعج فى كل وجه وأنا مكتمن فى الغار ، وأقبل رجل معه إداوته ونعله فى يده وكنت خائفا فوضع إداوته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ثم قال لأصحابه : ليس فى الغار أحد فانصرفوا راجعين وخرجت إلى الإداوة فشربت ما فيها وأخذت النعلين فلبستهما فكنت أسير الليل وأكمن النهار حتى جئت المدينة فوجدت رسول الله ﷺ فى المسجد فلما رآنى قال : أفلح الوجه . فقلت : وأفلح وجهك يا رسول الله فوضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبرى فدفع إلىّ عصا وقال : تخصّر بها فى الجنة فإن المتخصرين فى الجنة قليل .

* * *

الفهرس

رقم الإيداع ٤٩٨٣ / ٩٢
I . S . B . N
977 - 5339 - 00 - 6

طبع بمطابع شركة الدقهلية الوطنية للطباعة والنشرت : ٣٢٦١٦٠ المنصورة